العربية بين مطرقة اللغات الأجنبية و سندان العامية.

"الى أي مدى يكون الاستثمار في الترجمة مفراً".

الدكتور جمال قوي.

أستاذ محاضر "أ" - كلية الآداب و اللغات - جامعة ورقلة الجزائر.

مترجم رسمي لدى المحاكم و المجالس القضائية معتمد لدى وزارة العدل- الجزائر.

ملخص:

تعاني اللغة العربية في السنوات الأخيرة ضعفا كبيرا، بعد أن كانت من أقوى و أهم لغات العالم و أكثرها طلبا، و الحقيقة أن اللغة العربية تعرضت و لا تزال الى هجومات عنيفة عدة، تأتي في مقدمتها في نظرنا طغيان اللغات الأجنبية، و خاصة الإنكليزية و الفرنسية عليها حتى في عقر دارها، لأسباب مختلفة على رأسها قابليه مستعمليها لظروف معينة، وتتجسد الهجمة الثانية في استعمال العامية أو ما أصبح يسمى عند العديد مؤخرا "العربية المحكية"، التي تحولت في الواقع الى "عربيات" و ليس عربية واحدة، فهاته تسمى نفسها العربية المصرية و الأخرى الجزائرية و الأخرى كويتية أو مغربية و هكذا، بما لا يخدم اللغة الموحدة، و كأن العربية تحولت الى جنسية بعدما كانت لغة جامعة لا مفرقة لأمتها العربية و الإسلامية.

و تأتي هذه الورقة في هذه الظروف لتدرس واقع العربية مقارنة مع اللغات الأجنبية في وطننا العربي و تلقي بإيجاز الضوء على بعض أسباب ذلك، و تحاول اقتراح بعض الآليات على رأسها الترجمة، التي قد تكون ناجعة في رد الاعتبار لصاحبة الجلالة (لغة الضاد) على الأقل في عقر دارها حتى لا تتحول الى مهاجرة في وطنها، و لا تعرف وطنا أصليا لها.

كما ستدرس أيضا هذه الورقة الخطر الثاني المحذق باللغة العربية و هو خطر العامية، التي ما فتئت تتحول الى عربيات، يحتاج فيها العربي الى مترجم ليفهم الآخر، خاصة في الوقت الذي تدعو فيه بعض الجهات الى إدخال العامية حتى في المناهج التعليمية لضمان كفاءة أكثر لدى الطلاب في نظرهم، نظرا لكون اللغة العامية هي اللغة الأم لديهم و ليست الفصحى، بدعوى أن الملكة المثالية عند العرب هي الآن في العامية ، فنعرض الحال بصفة عامة و نحاول بإيجاز اقتراح حلول مستعينين بتجارب بعض الدول خاصة الأوروبية و على رأسها فرنسا و بريطانيا، اللتان تبذلان قصارى الجهد حفاظا على الفرنسية و الإنكليزية على التوالي، بل أصبحت تحاول نشرها لأقطار أخرى تستوعبها خير استيعابٍ و تكاد تكون وطنا ثانيا لها.

و تقترح هذه الورقة في ظل ما ذكر سابقا الاستثمار في الترجمة بصفة عامة من و الى العربية، و الترجمة الى العربية بوجه أخص، و تصف الاستثمار فيها حلا سحريا من شأنه إعادة الاعتبار الى هذه اللغة عن طريق مساهمة هذه العملية أو الآلية في توسيع رقعة استعمالها في عقر دارها على الأقل، عن طريق توفير المعارف بها أولا، و تحويلها الى تجارة أيضا مربحة

يتنافس الجميع في الاجتهاد فيها فيجد نفسه يخدم هذه اللغة من باب التجارة، و ستتخذ الورقة من قانون الترجمة (المادة 08 من قانون الإجراءات المدنية) في الجزائر أنموذجاً لهذا، و تدرس أثر هذا القانون في الحفاظ على الهوية العربية على الأقل في مجال القضاء في الجزائر.

كما ستركز الورقة خاصة على دراسة مدى إمكانية الاعتماد على الاستثمار في الترجمة في التكفل بعلاج الحالة المرضية التي تعاني منها اللغة العربية، و تركز خاصة على شروط نجاح هذا الاستثمار في الترجمة الظروف السابقة و اللاحقة التي ينبغي توفيرها لتفعيل هذه الآلية، حتى لا تتحول الترجمة الى عملية روتينية غير مفعّلة للديناميكية الاجتماعية، التي تعدّ بيت القصيد لخدمة اللغة، لأن اللغة غير المستعملة من أهلها على الأقل ميته.

مقدمة:

إن قوة أي أمة في الحقيقة مرتبطة ببروز معالم و ركائز كثيرة و متنوعة، مشيرة لقوة الحضارة بمكوناتها هي أيضا و ركائزها و معالمها التي تأتي اللغة بصفتها الوعاء التواصلي بين الأنا و الآخر في مقدمتها[1]، فعادة ما تتقدم لغة القوم الأقوياء و تضعف لغة الضعفاء، لقوة أولئك أو ضعف الآخرين، فها هي اللغة الإنكليزية على سبيل المثال تقهر جل لغات العالم في عصرنا هذا، و تغزوها حتى في عقر ديارها و تشترك في الحال مع لغات أخرى كالفرنسية و الإسبانية على الأقل على مستوى الاستعمال في الداخل و الخارج. فأصبحت هاته اللغات تقريبا لغات أهلها و لغات غير أهلها في بقاع شتى من الأرض. و تعد لغتنا العربية في العالم العربي أحد المعالم التي قد نقيس بها قوتنا من ضعفنا، بصفتها الوعاء الرسمي الناقل لحضارتنا و رموزها و تقاسيمها على وجه الخصوص، فهل للغة العربية تلك المكانة التي تتمتع بها الإنكليزية و الفرنسية على سبيل المثال، أم أنها في مكانة مختلفة أكثر راحة أو أكثر تعاسة من اللغتين المذكورتين على وجه الخصوص و لغات العالم على العموم.

1. واقع اللغة العربية:

لطالما كانت العربية و لعصور عديدة من أقوى لغات العالم على الإطلاق و الأكثر انتشارا، و الأكثر تقديرا بين لغات الأمم، فكانت لغة للشعر و النثر من المستوى الرفيع و دليل ذلك ما ترك من الأثر من دواوين و مخطوطات أدبية و علمية، و الأسماء اللامعة التي لا تزال عالقة في الذاكرة العالمية من العرب الأدباء و العلماء، كما أن للغة العربية الفضل الكبير في استرجاع و احتواء العديد من الملفات الرومانية و الإغريقية و حمايتها من التلف و الزوال بسبب ترجمتها الى العربية من لدن العرب[2] قبل اختفاء المخطوطات و الكتب الأصلية، و بدءً تقريبا من العصر العباسي الثاني بدأ تقهقر اللغة العربية و تواصل الى عصرنا هذا، باختلاط الثقافات و زيادة

---

[1] ينظر: باسل حاتم و إيان ميسون، الخطاب و المترجم، ترجمة الدكتور عمر فايز عطاري، جامعة الملك سعود، ص05.

[2] ينظر:

Joelle Redouane (1996), *Encyclopédie de la traduction*, Office des Publication Universitaires, Alger, Algérie.

الأطماع العدوانية في بلاد العرب، و قد لا يقبل البعض وصف وضع اللغة العربية في زمننا هذا بالمتقهقر إلا أن الحقيقة تقول ذلك بالنظر في المعياريين الآتيين على سبيل المثال لا الحصر:

- قياس انتشار استعمال العربية كتابة أو شفاهة في العالم،
- قياس انتشار استعمال العربية كتابة أو شفاهة في البلدان العربية.

إن الملاحظ اللغوي للعالم يلمح بسهولة ضيق استعمال اللغة العربية في العالم بأسره و عدم إقبال الأجنبي على دراستها، و عدم اهتمام الجامعات العالمية بإفراد فروع خاصة باللغة العربية بشكل واسع، كما هو الحال مع الفرنسية و الإنكليزية و الإسبانية و الألمانية مثلا و حتى الصينية أحيانا، و هذا مؤشر إنما يدل في الحقيقة على القيمة القليلة التي يوليها العالم الى هذه اللغة، لأسباب قد تكون ذاتية و أخرى موضوعية، مرتبطة ربما بالسياسة و الاقتصاد و غيرها من المجالات التي تتحكم في تخطيط حياة الأمم، و من ثم تتحكم في نمطية تواصلها مع بعضها البعض، و تفرض عليها استعمال لغة دون أخرى أو مجموعة لغات دون أخرى، فأصبحت مكانة العربية بين لغات العالم محصورة الاستعمال جدا، و في الغالب يلجأ إليها لجوءً لأداء الممارسات و الطقوس التي تتعلق بالدين عند الأقليات المسلمة هنا و هناك، و قليلا ما تتعلق بالعلم أو الأدب أو مناحي و قضايا الحياة اليومية في حد ذاتها.

و مما يزيدنا في وصف وضع اللغة العربية بالمتقهقر، هو أن ظاهرة ضعف استعمالها أصبح حتى في أقطارها الأصلية "البلدان العربية"، و لم تعد لا لغة متداولة إذا استبدلت باللغات العامية أو ما أصبح يسمى عند البعض باللغة العربية المحكية مقابل المكتوبة، علاوة على مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية في عقر دارها و خاصة اللغة الإنكليزية في المستعمرات السابقة لبريطانيا أو المشرق العربي بصفة عامة من جهة و اللغة الفرنسية في المستعمرات الفرنسية خاصة تونس و الجزائر و موريتانيا و المغرب، لتبقى اللغة العربية محاصرة بين مطرقة اللغات الأجنبية و سندان العامية.

2. <u>خطر اللغات الأجنبية على العربية:</u>

من المفروض أن تزدهر كل لغة بين أمتها و قومها على الأقل، إلا أن اللغة العربية للأسف أصبحت مزاحمة من اللغات الأجنبية و على وجه الخصوص الفرنسية و الإنكليزية، فلا يخلو مثلا حديث العرب خاصة من العامة و في المحافل العامة من ألفاظ من لغات أجنبية ليست بالعربية و لا تمت لها بصله، تدخل في كلام العرب و تشوش جملهم بتراكيب غريبة، ينظر لها عند العامة و الغوغاء على أنها حضارة لكنها في حقيقتها ضرب في الهوية العربية المسلمة في عقر دارها، أو هروب من واقع معين و سباحة في الخيال في نظرنا، و قد نتساءل لماذا استعمل العرب تلك اللفظة الأجنبية أو العبارة الأجنبية أو بتعبير آخر لماذا لجأ العربي لتبني تلك اللفظة مثلا، علما أن مقابلها موجود في لغة الضاد، و يجتهد كثيرون في ذلك، و هي حسب نظرنا إعلان أو شن حرب ضد صاحبة الجلالة اللغة العربية من بني قومها، و هي خيانة لأصلهم و هويتهم و رمز وجودهم، و هذه هي المصيبة، فرأينا العرب يستعملون كلمة « Merci » الفرنسية على سبيل المثال، تعبيرا عن الشكر و كأنه ليس في العربية من كلام يدل على ذلك، و العكس واضح و مثبت، فعندنا "شكرا" المحايدة و المقبولة من الجميع باختلاف مشاربهم و عندنا "بارك الله فيك" ذات الشحنة الإسلامية خاصة، لكنها كلها عربية صحيحة و تفي بالغرض

تماما في مقامها، كما لاحظنا أيضا استعمال كلمة « Sorry » الإنكليزية تعبيرا عن المعذرة عند العرب و كأن اللغة العربية لا تحوي كلمة تعبر عن الأسف أو الاعتذار على غرار "المعذرة" أو "العفو" أو "اسمح لي" حسب السياق، هذا على مستوى المشافهة و المخاطبة و غير ها من الأمثلة كثيرة لا يتسع المقام للإسهاب فيها.

و تطور الأمر ليطال الكتابة أيضا فكثيرا ما رأينا في بعض البلدان إن لم نقل أغلبها كلمات أجنبية منقحرة و مكتوبة في كل مكان على مثل "مول" و "سيتي" و "باص" في المشرق العربي علما بوجود المقابل العربي لها و نقصد بذلك "متجر" و "مدينة" و "حافلة" و أصبحت تكتب و تستعمل لدرجة أن العربي يقف حائرا و لا يجد لها ترجمة متخيلا أن تلك الكلمات دخلت الى العربية و أصبحت جزءً منها، و أما في في المغرب العربي فنجد كلمة "مغازة" على المحلات و هي في الأصل من الكلمة الفرنسية "Magazin" التي تعني "مخزن" لكنها تستعمل على المحلات للدلالة على "متجر تموين" ، كما لفت إنتباهنا إستعمال كلمات ناجمة عن الترجمة الحرفية الخاطئة في أغلب الأحيان، ففي أغلب الجامعات الجزائرية مثلا تستعمل عبارة "قاعة السحب" و تكتب على القاعة موضوع النقاش، التي هي في حقيقتها ترجمة حرفية خاطئة لـما يفترض أن يكون "قاعة النسخ" التي هي ترجمة خاطئة و شائعة جدا للعبارة الفرنسية « salle de tirage » فالشخص لا يقوم بالسحب بل بعملية نسخ الأوراق و الوثائق، و هذا أثر استعمال اللغة الأجنبية و تداخلها بإسقاطات عمودية على لغة العرب دون مراعات المعنى الدقيق و لا التركيب المقبول.

1.2 أثار استعمال اللغات الأجنبية في العالم العربي:

لقد خلف استعمال اللغة العربية في العالم العربي سواء عند المثقفين أو غيرهم، سواء في المشرق أو في المغرب، الى خلق نظرة دونية إزاء اللغة العربية صاحبة الجلالة و اللغة التي اختارها المولى عز و جل لختم و جمع كل رسالاته، فأصبح ينظر لها على أنها لغة المتخلفين أو اللغة التي لا تنفع، و أضاف غيرهم كونها لغة الشعر التي لا تصلح لهذا الزمان لغير الشعر و غيره من المواقف التي توصف بالأدبية غير النافعة في عصر التكنولوجيا و العصرنة.

ففي ببعض البلدان المغاربية أصبح استعمال اللغة العربية خاصة في الإدارات، عند الرغبة في الاستفسار عن شيء ما مثلا، يفهم منه أن السائل إنسان متخلف أو غير متعلم، و وصلت في بعض المناطق الى حد التخلص من اللغة العربية و عدم الاعتراف بها كليه لأسباب مختلفة أغلبها ذاتية و غير مؤسسة في نظرنا، و أصبح أنصارها يتحدثون الفرنسية حتى في المنازل و في كل مكان و يعلمون أبناءهم الفرنسية مباشرة منذ ميلادهم، لينشأ بذلك ربما مستقبلا جيلا ممن يجهلون العربية كلية و يحتقرونها لكنهم يعيشون في البلاد العربية.

أما في بعض بلدان المشرق العربي، خاصة تلك التي بلغت درجة متقدمة جدا من التطور و الرفاه، فأصبحت اللغة الإنكليزية فيها لغة التواصل الأولى خارج المنازل، ماحية بذلك معالم البلد العربية و أحد رموزه الأساسية في الوسط الخارجي، و نقصد بالذكر خاصة البلدان التي تتعدد فيها و استوعبت العديد من شعوب العالم المختلفة و كذا الجنسيات الأجنبية لغرض العمل أو غيره من أغراض الحياة، فأصبحت اللغة الإنكليزية هي السبيل لإنجاح التواصل بصفتها

اللغة المشتركة أو القاسم التواصلي المشترك بينهم مع اختلافهم و اختلاف جنسياتهم و حتى مشاربهم و أيديولوجياتهم.

و على صعيد آخر أصبحت تأثير اللغات الأجنبية على العربية مسببا لما يسمى "التداخل السلبي" الناجم عن حرفية الترجمة خاصة إليها، كما يشير نايف نهار الشمري بمثاله عن إستعمال « as » في الإنكليزية[3]، فنترجمها في أغلب الأحيانا بالتداخل السلبي الى ما يعبر فقط عن التشبي:

He works as a teacher.

عوض أن تترجم صوابا: يعمل مدرسا.

تترجم بالتداخل السلبي الى: يعمل كمدرس.

بإضافة كاف التشبيه التي لا دور لها في المعني في هذه الجملة.

3. خطر العامية على اللغة العربية:

و من بين الأخطار التي تحدق بالعربية أيضا خطر العامية التي ما فتأت تحل محل العربية الفصحى، ففي الحقيقة لقد تحولت اللغة العربية من لغة تتساوى فيها المكتوبة و المحكية كما في عصور إزدهارها في العصر الجاهلي و العصور الإسلامية الى غاية العصر العباسي الثاني الذي تداخلت فيه الثقافات، الى لغة مكتوبة بشكل و محكية بشكل آخر، و يكمن الخطر الكبير في العامية في تحويل اللغة العربية من لغة توحيد الأمة العربية الى لغة تفريق، إذ أصبح هناك ما يسمى بالمصرية و المغربية و الإماراتية و الجزائرية و التونسية و الكويتية و الأردنية و هكذا عوض على كلمة واحدة موحدة هي العربية، و أشتد النزاع بين هذه العربيات العامية[4] الى حد رغبة كل فرض عاميته عن الآخر بطرق عديدة نذكر منها خاصة السينما و ما يسمى بالفن "الغناء" و أصبح كل طرف يجتهد في إذخال كلمات عامية هجينة و ذات طابع محلي، و اجتهد المصري مثلا في إستعمال "أوي" و إجتهد الإماراتي في استعمال "وايد" و إجتهد الجزائري لإقحام "بزاف" و اجتهد التونسي في إقحام "برشة" و الليبي في استعمال "ياسر" ، كل يريد التعبير عن كلمة "كثيرا" العربية المكتوبة أو عربية الكتاب كما أصبحت تسمى نظرا لهجران استعمالها للتواصل على الأقل، حتى اشتد عود العامية و أصبحت كتلاً كتلاً أي العامية المغاربية ككتلة و العامية الخليجية ككتلة ثانية و المصرية كتلة ثالثة و المصرية كتلة رابعة و هكذا... لدرجة ظهور ما أصبح يسمى بالعربية المحكية التي لا تتطابق بل تتنافر يوما بعد يوم أكثر من العربية المكتوبة، لدرجة أن الأجانب أصبحوا يجمعون على أنه لم يعد هناك أي جدوى تواصلية من تعلم اللغة العربية في الجامعات و المدارس، لأن العربية التي نتعلمها في الجامعات

---

[3] نايف نهار الشمري، (2013) محاولة لإيجاد آليات عملية في إثراء اللغة العربية، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية.

[4] ينظر نفوسة زكريا سعيد(1964)، تاريخ الدعوة الى العامية و آثارها في مصر، دار نشر الثقافة بالإسكندرية ، ص 05.

و المدارس في كنهها عربية الكتب فقط و ليست تواصلية في المجتمع و إن صلحت في مجتمع عربي فهمي لا تصلح في مجتمع آخر.

1.3 آثار استعمال العامية في العالم العربي:

إن من بين أهم و أسوء آثار استعمال العامية في العالم العربي أو بالأحرى العاميات أو العربيات المحكية هو ذلك الشرخ الكبير بين تلك العربية التي نكتبها و نقرؤها و تلك التي نتواصل بها هنا و هناك، جعلت من العربي أو الأجنبي لا يجتهد في تعلمها لغير الغرض الديني، لأنها لم تعد خاصة في نظر الأجنبي عملية، يتعلمها ثم لا يستفيد منها على عكس الفرنسية أو الإنكليزية على سبيل المثال.

من بين آثارها أيضا، إشاعة و شيوع اللحن في العربية الفصحى المكتوبة، أي دخول تراكيب هجينة و غريبة على العربية مصدرها التفكير بالعامية و التعبير بالعربية مما ينتج عربية ضعيفة، قد تتناقل بمرور الزمن خاصة عبر وسائل الإعلام لتصبح حقيقة مرة، عربية ملوثة لا ندري لما قد تؤول في المستقبل لكن اقل ما تؤول إليه عربية ملوثة و ضعيفة و خارجة عن القواعد و الاعراف التي تربط اللغة العربية و قد تخرج أصلا عن عبقريتها الأصلية التي تنجم عادة عن ترجمة سيئة من العامية الى العربية، تضعف مستواها و تقضي على بلاغتها و حتى فصاحتها.

و في ظل هذه الأخطار التي تواجه اللغة العربية من لغات أجنبية و عامية، في عالم متعدد اللغات و الثقافات، يرى البعض أن حركة الترجمة قد تكون مفرا لإنقاد اللغة العربية و لو جزئيا من جملة الأخطار هذه التي تحدق بها.

4. الاستثمار في الترجمة للتقليل من أثر الأخطار على العربية:

لقد كانت الترجمة في القديم سبيلا للتواصل فقط لا غير، إلا أن الاستثمار فيها قد يتحول الى وسيلة لتمكين الهوية و القومية العربية، فعلى سبيل المثال تترجم كل دول العالم و خاصة الغربية منها الى لغاتها الملايين من الكتب سنويا بهدف تقليص الفجوة العلمية و الأدبية بينها و بين الآخر، لأن عدم الترجمة يحول دون إنتقال العلوم و تأخر بعضها عن الركب أو تحويلها الى مستهلكة مستوردة حتى و إن كانت أمه ثرية، لا يكون تقدمها من صنيعها بل من صنيع مالها و وفرتها المالية لسبب أم آخر، أما عن وضع الترجمة في العالم العربي فضعيف على العموم مقارنة مع ما يجري في العالم من حركة نشيطة و فاعلة فعالة في المجتمعات الغربية عموما.

إن الأدوار التي يمكن أن تلعبها الترجمة تتعلق أساسا في الوقت الراهن على الأقل بمحاولة التخفيف من آثار الأخطار الناجمة عن اللغات الأجنبية و كذا العامية، التي جعلت من العربية تتبوأ مكانة غير تلك التي ينبغي لها أو غير تلك التي تخولها مواردها و قدراتها الفطرية و المكتسبة لها، و يمكن أن نذكر من أدوار الترجمة في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- زيادة استعمال اللغة العربية بالترجمة إليها مما ينعش سوقها خاصة، و يجعل الناس في عصر التفكير المادي يهتمون بها و يشجعون أبناءهم على دراستها لما فيها من ضمان

للمستقبل المهني على الأقل في نظرهم، و هذا فيه من الفائدة الجمة لزيادة رقعة استعمال اللغة العربية على المستوى الداخلي على الأقل مما يمكن أن ينعكس على الوسط الخارجي باستمرار الوتيرة في الداخلي و إكساب العربية مكانة مرموقة أو على الأقل أحسن من تلك التي هي فيها الآن بتغيير النظرة إليها، و نقصد بالنظرة نظرة كل من المثقفين و غيرهم، لأن السواد الأعظم أصبح يراها لغة غير مهنية و لا عملية، إلا أن إنعاش الترجمة إليها يمكن أن يكون له من الأثر البليغ في تغيير الوضع الى الأحسن.

- الولوج الى العلوم و التكنولوجيات باللغة العربية[5] تسهيلا للمبدعين العرب الذين لا يتقنون اللغات الأجنبية، أو على الأقل لهم صعوبة في الفهم الدقيق للمحتوى الأجنبي في إنجاز أعمالهم، تشجيعا بذلك للإنتاج برمته سواء الفكري أو العلمي و حتى الأدبي و توسيعا بذلك لرقعة المبدعين العرب اللغة العربية و بالتالي اكتساب نخبة جديدة ضامنة لاستعمال العربية و محافظة عليها مما يكسب اللغة العربية مضمارا جديدا تنال فيه تتويجات و مكتسبات ما أحوجها إليها في عصرنا هذا.
- إثبات و تعزيز الهوية العربية عن طريق الترجمة الى العربية، فكيف يحس العربي الأجنبي على حد السواء هنا أنه في الوطن أو العالم العربي إذا لم يجد ضالته من الموارد المدونة و المسجلة بلغة الضاد، فإذا لم تتوفر مثلا كتب العلوم و المعارف و الآداب باللغة العربية في العالم العربي، فأين الدليل على أننا في العالم العربي، و إن لم نقم بتوفيرها في العالم العربي سواء بالترجمة أو بالإنتاج فأين سنوفرها و إن لم يقم العربي بالترجمة الى العربية من اللغات الأخر تحيينا و تحديثا للمعارف و ضمانا للتبادل المعرفي في عصر العولمة من ذا يقوم بها عوضه، و قد استعملنا "إثباث الهوية" لأن اللغة العربية أصلا من رموز الهوية العربية.
- المساهمة في تسويق و نشر المعارف باللغة العربية في عصر تسوق فيه المعارف باللغات الأجنبية التي توصف بـ "الكبرى" فقط خاصة الإنكليزية و لا مكان للعربية بين اللغات الكبرى التي تسوق المعرفة، فإذا أراد العربي على سبيل المثال تسويق أبحاثه و نقصد بذلك نشرها و جب عليه كتابتها أو ترجمتها على الأقل باللغة الإنكليزية، مما يدفعه الى تعلم الأجنبية و عدم الاهتمام بالعربية، لما تحققه الأجنبية من غايات لا تحققها العربية، لأن العربية ليست في الوقت الحالي على الأقل لغة تسوق بها المعارف لتنشر في أصقاع و زوايا الدنيا، لضيق جمهورها و ضعف الإقبال عليها بسبب محاصرة الأخطار التي نحن بصدد التحدث عنها، أما الاستثمار في الترجمة الى العربية فسيقلل من أخطار هذه الظاهرة و يساهم في التمكين للغة هذه الأمة بإيمان شعبها بها، و يُعد عنصر المساهمة في تسويق المعارف مهما جدا و مكسبا للترجمة في البلاد العربية، إذ يساهم هو بدوره في:
  - المساهمة في صناعة الفكر العالمي،
  - المساهمة في صناعة المعرفة في العالم،
  - التأثير في الآخر،
  - و بالتالي بناء الآنا و الآخر و ليس الإستيراد من الآخر فقط.[6]

---

[5] ينظر بشير العيسوى (2001)، الترجمة الى العربية، قضايا و آراء، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 30.

[6] ينظر حسن حمزة (2013)، الترجمة و تطوير العربية الوجه و القفا، مجلة تبين العدد 06نوفمبر، الصفحة 07،

- و من الناحية الحضارية، تساهم الترجمة أيضا في تقليص الفجوة المعرفية أيضا بين الشعوب عامة و بين شعوب العالم و الأمة العربية خاصة لأنها موضوع الدراسة.
- و على المستوى المحلي أيضا، تساهم الترجمة في رفع المقروئية العربية لتمس جميع جميع أطياف المجتمع، لتساهم بذلك في رقي الفكر العربي و خاصة رقي لغته التي أفسدتها العامية، لتحاول الفصحى غزو العامية أو على الأقل التأثير فيها و ليس العكس بما يسهم في تشكيل مجتمع نخبوي لغويا على الأقل عكس المجتمع العامي و يمكن أن يصفنا البعض هنا بمفرطي التفاءل إلا أن الاجتهاد يحقق الغايات إذا كان سبيله صحيحا فنسعى جميعا الى رسم الاستراتيجية أو الخطة العملية الصائبة لتحقيق هذه الغاية.

تعد العناصر المذكورة أعلاه من بين أهم الأدوار التي يمكن للترجمة أن تجتهد في ضمانها للأمة العربية لكن بتفعيل الحافر و المحفز السياسي و الاجتماعي، و قد شهد العالم العربي العديد من المشاريع التي كانت دافعا كبيرا في عودة اللغة العربية الى الواجهة على الأقل في أوطانها و كان للعديد منها دور في تحفيز الأجنبي أيضا على تعلمها أو توظيف من يتقنها لقضاء بعض الخدمات التي ترتب بالاقتصاد و السياسة عادة، و قد نذكر مثلا في الجزائر قانون تعميم استعمال اللغة العربية الصادر في الجزائر في 16 جانفي/كانون الثاني 1991 تحت رقم 91-05، الذي كان له الأثر البليغ في تغيير بعض ملامح خارطة استعمال اللغة في الجزائرخاصة في الإدارات و المؤسسات الحكومية، لكن تم إلغاؤه لأسباب عديدة –يدرسها مختصو السياسة- بعد وقت قصير من توقيع رئيس الجمهورية الجزائرية أنذاك السيد الشاذلي بن جديد له ، إلا أنني لغويا أقول هو مكسب للغة العربية في الجزائر و مصدر خوف لأنصار اللغات الأخرى فيها أو بالأحرى من يعادون العربية لأسباب أو أخرى، و لحسن حظ العربية رفع الحظر على تجميد هذا القانون ليعاد تفعلية من جديد بمقتضى مرسوم أصدره الرئيس الجزائري أنذاك السيد اليمين زروال21 ديسمبر/كانون الأول 1996 و أنشا في عهده أيضا المحلس الأعلى للغة العربية، إلا أن هذا القانون المتعلق بتعميم إستعمال اللغة العربية سرعان ما عاد من جديد الى التجميد الجزئي بعد مدة ليست بالطويلة برحيل الرئيس من سدة الحكم.

و من أهم ما نجم عن هذا القانون، حركة كبيرة للترجمة الى العربية في الجزائر و حتى في بعض الدول الأجنبية المتعاملة مع الجزائر مما جعل للعربية مكانا و لو ضيقا نسبيا في البلدان الأجنبية المتعاملة إقتصاديا مع الجزائر حسب ما نقرأ مثلا في المادة 22 من قانون التعريب الذي تنص على:

" تكتب باللغة العربية الأسماء والبيانات المتعلقة بالمنتجات والبضائع والخدمات، وجميع الأشياء المصنوعة، أو المستوردة، أو **المسوقة في الجزائر**.

يمكن استعمال لغات أجنبية استعمالا تكميليا.
تحدد كيفيات تطبيق هذه المادة عن طريق التنظيم."[7]

[7] قانون تعميم إستعمال اللغة العربية 91-05 المؤرخ في 21 ديسمبر 1991.

أما من بين المشاريع أو القوانين سارية المفعول الى حد الساعة و الخادمة للغة العربية و الترجمة إليها بصفة عامة هو قانون الإجراءات المدنية و الإدارية الصادر عام 2008، الذي يدعو صراحة في المادة 08 منه الى ضرورة إستعمال و استلام الوثائق للتقاضي في القانون الجزائري باللغة العربية وجوبا أو مترجمة ترجمة رسمية الى لغة الضاد في حالة كانت الوثائق التي ستقدم الى الجهات القضائية محررة في الأصل بلغة غير العربية:

*"**المادة 08:** يجب أن تتم الإجراءات و العقود القضائية من عرائض و مذكرات باللغة العربية، تحت طائلة عدم القبول.*

يجب أن تقدم الوثائق و المستندات باللغة العربية أو مصحوبة بترجمة رسمية الى هذه اللغة، تحت طائلة عدم القبول.

تتم المناقشات و المرافعات باللغة العربية.

تصدر الأحكام القضائية باللغة العربية تحت طائلة البطلان المثار تلقائيا من القاضي." [8]

و لقد كان لهذا القانون في الحقيقة الأثر البالغ و الكبير في أحداث ثورة لغوية كبيرة في الجزائر، إذ أصبحت أغلب الشركات و الإدارات تترجم الى العربية كل الوثائق القديمة الصادرة باللغات الأجنبية عند التقاضي أو التعامل مع القضاء تجنبا لرفض الدعوى القضائية بموجب القانون. و عندما أقول الشركات أقصد حتى الأجنبية و ما أكثرها في منطقتنا المحلية (حاسي مسعود و ضواحيها) البترولية، مما أضطرها الى إعتبار اللغة العربية أحدى اللغات الواجب مراعات وجودها على الأقل إن لم نقل قيمتها، كما اضطرت العديد من الشركات و الإدارات الى توظيف المترجمين و متعددي اللغات الذين يتقنون العربية لاستخدامهم في النقل الى العربية أو حتى التحرير بها إن اقتضى الأمر خاصة في الوثائق و المستندات الجديدة.

أي بطريقة أو بأخرى، استطاع القانون تشغيل عدد كبير من مستعملي العربية في الجزائر و هو حل إقتصادي لكنه قبل ذلك إثبات للهوية العربية التي ينبغي الحفاظ عليها و تعزيزها في كامل البلاد العربية، فأستطاع مراوغة الإدارات الأجنبية للاقتناع بالعربية و استعمالها مما يوسع رقعة استعمالها أو على الأقل إثارة الرغبة في الاطلاع عليها قضاءً للمصالح أو لغيره.

و نرى في مقابل هاته الاجتهادات لتعزيز مكانة اللغة العربية عن طريق الترجمة في الجزائر و طبعا في باقي الأقطار العربية، دولا أجنبية متقدمة أيضا تسعى لتثبيت هويتها عن طريق لغتها، ففي فرنسا مثلا التي طالما تحارب العربية في الجزائر خلال الفترة الإستيطانية و حتى بعدها، أصدرت قانونا لحماية اللغة الفرنسية في فرنسا عام 1994 في ذكرى مرور مائتي سنة على إصدار قانون إستعمال اللغة الفرنسية الذي صدر عام 1974على إثر الثورة الفرنسية، التي كانت تطالب بفرض غرامات على كل من يحاول تحريف الفرنسية تجنبا للحن و لما نسمية العامية عندنا و كذا تعزيزا لمكانة الفرنسية في فرنسا و محاربة أي لغة دخيلة مهما كانت. كما تشجع فرنسا في الوقت الحالي الفرنكفونية في جميع مستعمراتها السابقة و كذا خارجها، بالمنح و المساعدات و التكوينات العلمية و غيرها و هذا ما نريده أيضا في بلادنا العربية، إلا أن القناعة بهذا يجب أن تبدأ دوما من الداخل، أي من البلاد العربية لقوله تعالى "إن الله لا يغير ما

[8] قانون الإجراءات المدنية و الإدارية الجزائر.

بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [9] ،و تساهم الترجمة إسهاما كبيرا في هذا بسن القوانين و غيرها في البداية لتعميم استعمال العربية في موطنها ، و بعدها نفكر في نشر العربية خارج أرضها و لا نقتصر فقط على نشرها لأسباب دينية، بل لأسباب استراتيجية و علمية و تمكينية أيضا.

الخلاصة:

إن وضع العربية الذي أسمح لنفسي بوصفه بالمتقهقر غيرة عليها و رغبة مني في اعتلائها مناصب تتكافؤ مع مؤهلاتها الفطرية و المكتسبة، يجعلنا نبحث عن حلول ترَغِب فيها بزيادة مردوديتها و آليه عطائها و مساهمتها في نفسها و في الآخر، و من تجربتي المتواضعة مع الترجمة خاصة الى العربية رأيت أن الاستثمار فيها يمكن أن يكون فعلا وسيلة ناجعة لاسترداد مكانتها على الأقل في الداخل بإعداد الخطة و العدة اللازمة لذلك كسن القوانين و غيره كمرحلة أولى ثم في الخارج كمرحلة ثانية مرتبطة و مشروطة بنجاح المرحلة الأولى، عندما تتحول اللغة العربية الى لغة منتجة و مساهمة مساهمة فعالة في الآخر و شعور الآخر بهذه الأهمية التي شعر بها أجداده في الماضي فأجتهدو في تعلمها و تكلمها و حتى الكتابة فيها و التنظير لها.
إن تجربتي في الترجمة خاصة الى العربية جعلتني أقتنع كل الإقتناع بإمكانية تحقيق هذا بالنظر الى التأثير الكبير الذي أحدثته الترجمة في الوسط الذي أتعامل معه شخصيا (سواء في الجامعة بمدينة ورقلة أو في ديوان الترجمة الرسمية بحاسي مسعود)، و تكون هذه الورقة بهذا دعوة الى التشمير على السواعد لفتح مشاريع ترجمة الى العربية هنا و هناك بغرض التمكين الى العربية و نقل العلوم و الآداب إليها لكن لا نتوقف هنا لأن الهدف ليس الترجمة بل هي وسيلة لدعم و تعزيز الإبداع لجل هذه اللغة منتجة و مسوقة للعلوم و المعارف و لم لا حتى التقنيات و التكنولوجيات لتتبوأ مكانتها المرموقة التي طالما سعينا و طمحنا و حلمنا لنيلها.

[9] سورة الرعد، الآية 11.

المراجع:

- القرآن الكريم.
- باسل حاتم و إيان ميسون(1998)، **الخطاب و المترجم**، ترجمة الدكتور عمر فايز عطاري، جامعة الملك سعود.
- بشير العيسوى (2001)، **الترجمة الى العربية، قضايا و آراء**، دار الفكر العربي، القاهرة، حسن حمزة (2013)، **الترجمة و تطوير العربية الوجه و القفا**، مجلة تبين العدد 06نوفمبر.
- قانون الإجراءات المدنية و الإدارية الجزائر.
- قانون تعميم استعمال اللغة العربية 91-05 المؤرخ في 21 ديسمبر 1991.
- نايف نهار الشمري، (2013) **محاولة لإيجاد آليات عملية في إثراء اللغة العربية**، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية.
- نفوسة زكريا سعيد(1964)، **تاريخ الدعوة الى العامية و آثارها في مصر**، دار نشر الثقافة بالإسكندرية.

Joelle Redouane (1996), *Encyclopédie de la traduction*, Office des Publication Universitaires, Alger, Algérie.